لقاء العدد

فضيلة الشيخ محمد بن مرزوق المعيتق

رئيس محكمة الزلفي وقاضي التمييز سابقاً

أجرى الحوار: حمد بن عبدالله بن خنين

نشأ بين والديه وتعلم القرآن وكان في صباه طموحاً عصامياً متطلعاً لطلب العلم والمعرفة برغم ظروفه والحياة القاسية في ذلك الوقت إلا أنه تطلع إلى الآفاق فاعتلى القمم، حيث رجل راحلاً لطلب العلم في الرياض وتعلق قلبه بالعلوم الشرعية وحلقات الذكر فالتحق بها في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم وسكن الرباط وواصل تعليمه صباحاً ومساءً ثم التحق بالمعهد العلمي إلا أن وفاة زوجي أختيه اضطره لترك التعليم والعودة لمسقط رأسه كادحاً متسبباً من أجل لقمة عيش أيتام زوجي أختيه، ولكن تعلقه بالعلم جعله يعود بعد سنوات لمواصلة تعليمه والظفر بشهادة المعهد العلمي وكلية الشريعة والمعهد العالي للقضاء مما كان الاختيار الموفّق في تعيينه ماضياً مباشرة تقديراً لتفوقه فأصبح رئيساً لمحكمة الزلفي طيلة سني خدمته التي اختتمها بتعيينه قاضي تمييز، فكانت تسعة وثلاثين عاماً مليئة بالعطاء مارس خلالها الإمامة وإلقاء الدروس وترأس عدد من الجمعيات الخيرية، زرناه مبتسماً مهللاً ومرحباً وهو على سريره الأبيض وعندما علم أننا من وزارة العدل كأنه فك من عقال فقد نسي مرضه العضال وأخذ يبحر في مسيرة حياته المليئة بالعطاء والتوهج، فعلاً نموذج القاضي المتمكن ومدرسة في صنوف التقاضي وخبرة عميقة. كان لنا السبق من تفتيش أغوار هذا العلم الفذ، فإليكم ما دار معه من حوار:

• حدثنا عن نشأتكم وتعليمكم؟

- بداية اسمي محمد بن مرزوق بن معيتق آل معيتق من مواليد قرية نطاع الواقعة بين الصرار والنعيرية ويطلق على تلك البلدان وادي المياه أو وادي العجمان وتتبع المنطقة الشرقية. ولدت عام ١٣٥٠هـ ونشأت تحت كنف والديّ وتعلمت قراءة القرآن لدى الشيخ عبدالعزيز بن محمد المزيعل من أهالي ثادق ولدى الشيخ عبدالواحد بن سعد الحميدي. بعدها انتقلت إلى الرياض عام ١٣٧١هـ بعد وفاة والدي وذلك سعياً لطلب العلم فالتحقت بحلقات مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم في دخنة وسكنت في سكن طلاب العلم بما يسمى (الرباط) وجمعها (أربطة) فدرست صباحا كمستمع في حلقات الدروس الدينية وكان يدرسنا الشيخ محمد بن إبراهيم وواصلت الدراسة مساء في اللغة العربية والفرائض لدى الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم ودرست أيضاً الفقه لدى الشيخ محمد بن عباد والشيخ عبدالعزيز أبو حبيب الشثري. وفي عام ١٣٧٥هـ تم عمل تقييم لنا رشحت بعدها للدراسة بمعهد إمام الدعوة بالرياض وكان الشيخ علي بن محمد الخميس المشرف على طلاب المعهد وكان مدير المعهد الشيخ عبدالعزيز الشلهوب.

• خدمتي كلها في قضاء الزلفي ختمتها بالتمييز

وفي مسيرة دراستي بالمعهد حصل لي أمر لم أتوقعه، حيث توفي كل من زوجي أختاي مخلفين أيتاما كثر اضطررت خلالها ترك التعليم والرجوع لمسقط رأسي كادحا من أجل لقمة عيش الأيتام، وبعد خمس سنوات عدت لإكمال الدراسة وتخرجت من المعهد عام ١٣٨٤هـ ثم التحقت بكلية الشريعة وتخرجت عام ١٣٨٨هـ ثم التحقت بالمعهد العالي للقضاء وتخرجت فيه عام ١٣٩١هـ وكانت رسالة الماجستير بعنوان: (الاستفادة من أحكام الشهادة) وكان المشرف عليها الشيخ عبدالعال عطوة وعضوي الشيخ عبدالرزاق عفيفي والشيخ مناع خليل القطان..

ومن الناحية الاجتماعية فقد تزوجت بثلاث زوجات وخلفت منهن إحدى عشر بنتا وإحدى عشر ولد، والحمد لله على نعمة المال والولد.

• من تذكر من زملاؤك في الدراسة والقضاء؟

- أبرز زملائي في المعهد العلمي: عبدالعزيز بن عبدالمحسن الدهيشي وناصر صنف المطيري ومحمد الدغماني العنزي وفهد مرزوق المطيري وإبراهيم الزايدي.

وفي الكلية الشيخ إبراهيم بن حمد السلطان والشيخ

بكر أبو زيد والشيخ عبدالرحمن بن عقيل.
والشيخ إبراهيم بن محمد الحصين رئيس محاكم الأحساء سابقا. وفي المعهد العالي الشيخ إبراهيم بن حمد السلطان أيضاً والشيخ إبراهيم الناصر والشيخ علي بن محمد التركي.
أما في القضاء: الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز التويجري والشيخ عبدالله الزامل الصغير والشيخ عبدالله بن إبراهيم الغفيلي والشيخ محمد العريني والشيخ صالح الحمود والشيخ عبدالرحمن بن فايز الحربي والشيخ محمد بن لعبون.

• من تذكر من معلميك الذين درّسوك في مختلف المراحل؟

- درسني في المعهد العالي للقضاء كل من:
١- الشيخ عبدالرزاق عفيفي.
٢- الشيخ عمر المترك.
٣- الدكتور طه الدسوقي.
٤- الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد.
٥- الدكتور أحمد عطوة وهو المشرف على رسالة الماجستير.
٦- الدكتور محمد البحيري.
وممن درّسني في كلية الشريعة:
١- الشيخ مناع خليل القطان.
٢- الشيخ صالح بن علي الناصر.
٣- الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان.
٤- الدكتور أحمد سير المباركي.
٥- الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك.
٦- الشيخ ناصر الطريم.
٧- الشيخ محمد بن مهيزع الشعيبي.
٨- الشيخ حمود بن عقلاء.
٩- الشيخ فالح بن فالح الدوسري.
وممن درّسني في معهد إمام الدعوة:
١- الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين.
٢- الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن قاسم.
٣- الشيخ عبدالعزيز بن داود.
٤- الشيخ سعد بن فالح الدوسري.
٥- الشيخ إبراهيم بن محمد العثمان.
٦- الشيخ عمار الجزائري.
٧- الدكتور محمد عيد الخطراوي.

• تسعة وثلاثون عاماً قضيتها في القضاء

• كان في الزلفي محكمتين فَضُمَتا في محكمة واحدة

• حدثنا عن القضاء والمحكمة في الزلفي؟

- القضاء في الزلفي قديم، حيث كان القاضي يقضي في مقر الإمارة وفي المسجد وفي منزله وبعد توحيد المملكة أنشئ في الزلفي محكمتين: الأولى في جزئها الشمالي وكان رئيسها الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز التويجري ثم الشيخ عساف الحواس من أهل الرس ثم الشيخ عبدالله العبدان. والثانية: في الجزء الجنوبي.
بعد ذلك تم ضم المحكمتين في وسط الزلفي وعيّن رئيساً عليها الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز التويجري ثم الشيخ عبدالله بن زامل الصغير ثم أنا، وتوالى القضاة تباعا الشيخ حمد العريني والشيخ علي الهديب والشيخ محمد اللعبون، والشيخ صالح الحمود. والشيخ إبراهيم بن محمد الحصين والشيخ إبراهيم الحسيني.

• هل تتذكرون أسماء القضاة الذين توالوا في القضاء بمحكمة الزلفي؟

- هؤلاء هم قضاة الزلفي حسب تسلسلهم فمنهم من يأتي بعد الآخر ومنهم من يأتي بعده أو معه ولكنه توالي تقريبي قد يكون قريباً من الصواب:
الشيخ محمد بن عبدالله بن معيذر، الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، الشيخ عبدالرزاق بن عبدالرحمن المطوع، الشيخ فالح بن عثمان الصغير، الشيخ عبدالرحمن بن سعد حصام، الشيخ سليمان بن عبيد السلمي (١٣٥٤ – ١٣٦٥هـ)، الشيخ عبدالرحمن بن محمد الهويمل (١٣٦٥ – ١٣٦٧هـ)، الشيخ سعد بن عبدالرحمن بن محارب (١٣٦٧ – ١٣٧٠هـ)، الشيخ حمود بن عبدالله التويجري (١٣٧٠ – ١٣٨٢هـ)، الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز عيدان (١٣٧٤ – ١٣٨٢هـ)، الشيخ عبدالله بن إبراهيم الغفيلي (١٣٨٣ – ١٣٨٨هـ)، الشيخ عساف الحواس (١٤٠٦ – ١٤١٣هـ)، الشيخ عبدالله بن زامل الصغير، الشيخ محمد بن مرزوق بن معيتق، الشيخ محمد بن عبدالعزيز اللعبون (١٤٠٣ – ١٤٠٣هـ)، الشيخ صالح بن إبراهيم الحمود، الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز

التويجري، الشيخ عبدالرحمن بن فايز الحربي، الشيخ حمد العريني، الشيخ علي الهديب، الشيخ إبراهيم الحسيني القاضي بمحكمة بريدة الجزئية.

• حدّثنا عن عملكم في القضاء؟

- بعد تخرجي من المعهد العالي للقضاء وحصولي على درجة الماجستير تم صدور أمر تعييني قاضياً في محكمة الزلفي شهر ذي القعدة عام ١٣٩١هـ قاضي (ب) وفي عام ١٣٩٥ هـ عُينت رئيس محكمة (أ) وكنت أميل إلى الصلح قبل النظر في الدعوى وكان أغلب القضايا تنتهي بعد الصلح أو في بداياتها، فلازالت ولله الحمد قوة تأثير القاضي على الخصوم ومدى تقبّلهم فلا ضرر ولا ضرار، ولقد تدرجت في السلك القضائي إلى أن أصبحت رئيساً للمحكمة وواصلت العمل ٣٢ سنة في محكمة الزلفي حتى عام ١٤١٨هـ حيث رقّيت إلى قاضي تمييز بمحكمة التمييز في مكة المكرمة وما هي إلا سنتين وحان وقت التقاعد فكان في رمضان ١٤٢٠هـ، تسعة وثلاثون عاماً عشتها في القضاء، ثم استقر بي المقام في الزلفي.

• حدثنا عن الأطوار التي مرّ بها التاريخ الفقهي وما آل إليه؟

- التاريخ الفقهي مرّ بثلاث أطوال رئيسة: ١- اجتهاد منضبط برز في عصر الأئمة وأظهر ما يكون في عصر الصحابة رضوان الله عليهم. ٢- قفل بالاجتهاد ودفع فيما يسمى بقصور التقليد والتبعية. ٣- فتح باب الاجتهاد على مصراعيه وهو عصرنا الحاضر، حيث تسهلت مسالكه فاختلط الحابل بالنابل، ودعوتي من هذا المنبر هي تضييق المسارات الاجتهادية وضبط المسائل الفقهية وجعل الطور طريقة مثالية يؤديها النص الشرعي وعليها عمل الأئمة الكبار. ولذا نحتاج إلى مزيد بيان ودراسة متعمقة

• في أثناء دراستي بالمعهد حصل لي أمر لم أتوقعه!!

• تعلقي بطلب العلم جعلني أعود طالباً بعد تركه

• وزير العدل الكويتي الأسبق ابن لأخي.

• عندما كنت طالباً في مسجد غميتة بحي العنوز بالرياض وعندما كنت قاضياً في الزلفي كنت إماماً

وضبط للواقع كي لا يقع صدام بين فتح الباب وغلقه. وكي لا يمتطي الكل روح الشريعة ويساء إلى واقع الحال الفقهي، نسأل الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه والحمد لله على ما قرر ويسّر ونهى وأمر وأخذ وأعطى. ولولا الخلاف لما حصل اجتهاد، ففي الخلاف مدرسة الاجتهاد الواسع وفي ضبطه بالدليل والتعليل استقرار للحركة الاجتهادية. نسأل الله العافية، لقد آل الفقه إلى أن أصبح مرجعاً يقتبس منه شيء الأمم لأن مصدره رباني وأصله قرآني ونشره وبعثه من نبي الرحمة ومنطلقه سنة عظيمة ودين حنيف.

• هل من أعمال خدمية تمارسونها بجانب عملكم الرسمي؟

- بالرغم من تركيزي على عملي القضائي إلا أنني أقوم بإلقاء الدروس والمواعظ بالتعاون مع مركز الدعوة والإرشاد، كما أنني أرأس جمعية تحفيظ القرآن الكريم بالزلفي من عام ١٣٩٤هـ وحتى عام ١٤٢٠ هـ وعضو في جمعية البر الخيرية بالزلفي وأسعى للإصلاح ونشر المعروف والخير بين الناس، وكنت إماماً في مسجد عبدالله بن المبارك بحي الصديق بالزلفي.. وما حب الخير والتعلق به والعمل في أعمال البر إلا تزكية للنفس وعمل من أعمال الطاعات التي يثاب عليها المرء في حياته وقد حث الإسلام في السعي لخدمة الآخر في شتى السبل.

• هل من بارزين في الأسرة اعتلوا شيئاً من المناصب؟

- من أبرز من في الأسرة معالي الدكتور عبدالله بن معتوق المعتوق وزير العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت سابقاً والمستشار الحالي في الديوان الأميري والأمين العام للرابطة العالمية الخيرية وهو ابن أخي الشقيق انتقل والده منذ زمن طويل للكويت وأصبح كويتياً بالجنسية، ومن الأسرة أيضاً الشيخ عبدالله بن محمد المعيتق الداعية.

• ما هي حكاية ظهور الفقع في محكمة الزلفي؟

- فوجئنا بخروج نبات الكمأة (الفقع) نوع الزبيدي في المواقف المسفلتة داخل سور المبنى، حيث استطاع هذا النبات مقاومة طبقة الإسفلت، وقد خرج في عدة أماكن وفي سنوات متتابعة، وخرج أيضاً نوعاً شبيهاً به يسمى طرثوث وهذا جاء بسبب تتابع هطول الأمطار في تلك السنوات ومعروف أن أراضي الزلفي بكر صالحة للنباتات البرية. ولعل الصور التي طلعت في جريدة الجزيرة وموقع براري وموقع الرحلات خير شاهد على هذه الحادثة.

• شيء شد انتباهك ولفت نظرك في أهالي الزلفي؟

- أهل الزلفي لديهم غيرة على الدين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ومن أبرز ذلك أنهم اشتروا محلات لبيع الأغاني وحولوها إلى أشرطة إسلامية، لذلك يحبون الخير وبذل النصيحة وهم أهل كرم وشهامة - جزاهم الله خيراً - فمنذ وطئت قدماي أرض الزلفي وأنا مرتاح لما وجدته من معاملة حسنة ومحبة أخوية وخير شاهد مضي ٣٢ سنة عندهم في العمل ولا زلت أسكن عندهم ومتواصل معهم، فقد شدوني بحسن الجوار وكريم المعاشرة.

• ما رأيكم في تقنين الأحكام التعزيرية؟

- أطالب بتضييق الاجتهاد والحد من زيادة الأحكام التعزيرية، حيث أصبحت ظاهرة تسيئ للقضاء والسمعة الدولية، فالمبالغة أمر مستهجن يصل في بعضه تخطي الواقع والحدود، فتكديس الناس في السجون أمر يضر بالمجتمعات ويزيد من كاهل الدولة، لا بد من التوازن عند إصدار الأحكام.

• هل يمتد الجزاء إلى أطراف أخرى كالأسرة والمجتمع والدولة؟

- أناشد من هذا المنبر ضرورة تنظيم زيارات متتابعة للقضاة لزيارة السجون كي يتأكد لهم فداحة الأمر عند الحكم، لا بد أن يزور القاضي عدداً من السجون خلال فترة عمله ليقف عن كثب كآبة المشهد، ولعل بدائل السجون طريقاً إلى حل كثير من تلك المعاناة ومع هذا لا بد أن يوضع حد مقنن وسقف أعلى لمدة السجن كي لا يحدث ازدواجية في كثير من الأحكام الاجتهادية

• لا يوجد نقص في عدد القضاة وإنما النقص من تقصيرنا

• أطالب بتضييق الاجتهاد والحد من زيادة الأحكام

• لا سلطان على القضاء في الأحكام وليس على الدوام والانضباط!!

والتفاوت الذي بان أثره، مما يتطلب التسريع في تقنين ونشر الأحكام للاستفادة منها والعودة إلى الواقع، حيث لم نسمع في السابق تلك الأحكام المبالغ فيها والتي قد تسيئ إلى القضاء والدولة.

• كنت خير شافع في معالجة قضاء الديون عن المعسرين، فما حكاية هذا العمل الخيري العظيم؟

- نعم كنتُ خير معين وشافع ووسيط بين المعسر وطالبي الخير والثواب وساهمتُ في قضاء ديون الكثيرين ومن ذلك كنت أكتب لسماحة الشيخ ابن باز لسداد الديون، إضافة إلى محاولة معالجة الدين بالتنازل عن جزء منه. كما كنت أساهم في إصلاح ذات البين ومن ذلك المشاكل الزوجية التي قد تمتد إلى الطلاق وكم من عائلة استمر العيش معها والرجوع إلى حسن العشرة والوفاق، وهذا من فضل ربي وهذه الأعمال كنوز عظيمة أدخرها يوم القيامة وأحتسب فيها الأجر والثواب، فما أحسن أن تدخل على أخيك المسلم السرور والبهجة والوئام، جعل الله حياتنا هانئة هادية.

• هل التقاعد معضلة وماذا صار بك بعده؟

- التقاعد بداية حياة ومنطلق رحب لمراجعة النفس والتزوّد بالتقوى والطاعات وصلة الأرحام.. ولقد سخّرت نفسي في مجال الدعوة ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ (الشرح: ٧) ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، يا لها من حياة جميلة ورائعة مع الله سبحانه والقرب منه والجلوس في مجالس الذكر.

• هل تعاني المرأة من معوقات لوصولها للقضاء؟

- نحن في بيئة محافظة تسعى للستر والوقار ولكن الإسلام أعطى المرأة الحقوق والواجبات ومنها الوصول

للقضاء في حاجتها، ولقد سررت بما توصلت له اللجنة الوزارية المشكّلة في هذا الشأن، والتي أوصت بالعديد من الحقوق للمرأة من إنشاء محاكم الأحوال الشخصية وإيجاد أقسام نسائية في المحاكم وكتابات العدل، وتزويد المرأة بصورة من جميع الوثائق المالية الخاصة بها حماية لحقوقها والتأكد من مسائل التنازل والتوكيل ومعالجة المماطلة التي تمس حقوق المرأة ومنع أي عنف تتعرض له واتخاذ العقوبات المناسبة في حال ثبوتها وتزويد المرأة بصورة مصدقة من جميع الوثائق التي تخصها كعقد النكاح وغيره وزيادة الوعي بحقوقها والعناية بالشكاوى الواردة من النساء وقد عممت هذه التوصيات من قبل وزارة العدل، وهذا شاهد على الاهتمام والعدالة التي ينشدها الجميع.

• حجج الاستحكام وسيلة إثبات حق تملّك الأراضي والعقارات، فما هي نظرتكم حيال ما يطرأ الآن من أنظمة بشأنها؟

- الحجج عبارة عن وثائق تستخرج من المحاكم لإثبات الملكية، وقد يكون في الغالب بالإحياء، وقد دفع الناس للحصول على تلك الحجج هو موجة الأسعار نتيجة تضخم النمو السكاني، فهي هدفاً استثمارياً إستراتيجياً جاء بوضع اليد، وقد جاءت الأنظمة والتعليمات المبلغة لتحفظ أصحاب الحقوق الفعليين من نيل حقهم وتمنع التعدي بغير وجه حق شرعي، وجاء الأمر السامي بتقييد الإحياء الشرعي لما قبل عام ١٣٨٧هـ ثم تبعه قرار تقييد النظر في الحجج وآلية استخراج التملك عليها، وفي الآونة الأخيرة استدعت الحقوق العامة لقطع الطريق للتملك الخاص، فنحن في زمن المراقبة والمحاسبة وهو دور مناط به الدوائر العدلية وغيرها من منطلق مبدأ مصالح المسلمين العامة فخرج نظام الحجج ونظام المرافعات الذي يضم باباً فيها وصدرت الأوامر والتعليمات حفظاً للحق العام..

• ما نصيحتك للقضاة من واقع تجربتكم الطويلة؟

- نصيحتي للقضاء تقوى الله في أنفسهم ويعلمون أنهم موقوفون أمام الله سبحانه وسيسألهم عمّا حكموا به وألا يحكموا إلا بما أنزل الله ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾، ثم إن سلطان القضاة على الأحكام وليس على الأفعال والدوام والانضباط، فليس هناك نقص في القضاة، بل النقص من تقصيرنا فلو حرصنا على الوقت لما تكدست القضايا، فالدوام ليس ملكاً لنا وما نقبضه من راتب فهو على المدة الزمنية المطالبين بها، فكلما ضيّعنا جزءاً كلما كان ما نقبضه حرام، ثم إننا من المثالية والقدوة وكل التصرفات؟!! لا بد أن تكون حركات القاضي متقنة ومقننة ولا يجوز التفريط والإساءة، فالعيون تتمركز على القاضي في داخل المحكمة وخارجها.. لذا نلتهب همة القضاة بأن يعودوا بالقضاة إلى عاهد وقته فنحن نعيش في نهضة حضارية وكثافة سكانية وزيادة في عدد القضايا وحاجة الناس مما يتطلب تكاتف الجميع بالإبحار في القضاء إلى ساحل العدالة التي يأملها الجميع.

• ما رأيكم في مجلة العدل وانطباعكم حولها؟

- المجلة تعتبر من أروع المجلات وأقيمها وهي محكمة بها من البحوث التي تمس أحكام الواقع وتنزل على الحوادث والمستجدات وهي بلا شك علامة مضيئة ورابط قوي ورسالة من وزارة العدل للمتلقي أياً كانت صفته، فيقرأها الجميع بحثاً عن معلومة أو نظام أو منشط وقد ساهمت مساهمة قوية في نشر الوعي العدلي والقضائي وأصبحت صورة معبّرة عن واقع التطور الملموس الذي تشهده الوزارة. أشكر معالي الوزير ورئيس التحرير وكل من عمل وبذل لخدمة القضاء وأهله، آمل أن تواصل المسيرة بخطى واثقة وأن تكون منبر إعلامي متميز يصل الآفاق ويحكي قصة العدالة الشرعية في المملكة العربية السعودية، وبارك الله في الجميع.

• هذه حكاية نبات الفقع في محكمة الزلفي

• التقاعد بداية حياة ومنطلق للتزوّد بالطاعات

• مجلة العدل وسيلة تواصل بين الوزارة وعملائها